

المجتمع الصناعي وبعد الصناعي:

قضايا التصنيف والفروق

معن النثري(*)

سنتطرق في هذا الموضوع إلى مسألتين رئيسيتين هما: 1 - تصنيف مجتمعات الصناعة وما بعد الصناعة وموقعها في لوائح وخرائط تطور البشرية الإجمالي (حسب هذه النظريات)؛ و2 - خصائص وميزات المجتمع بعد الصناعي لدى مقارنته بالمجتمع الصناعي وبالتالي إيضاح الفوارق بينهما والتركيز عليها بهدف تكوين صورة إجمالية أوضح.

وفي الحالتين سنسعى، قدر المستطاع، إلى النظر من خلال موشور نظريات المجتمع الصناعي ذاتها - على اختلافها - وبشقّها - أي ضمن المسارين المذكورين آنفاً، فنهتمّ بالمسائل التالية:

I . في المسار الأول

1 - فكرة عامة عن نظرية المجتمع بعد الصناعي وتصنيفها للمجتمعات البشرية ومراحل تطورها الكبرى، على أساس صناعي/ أو صناعي/؛ ومجالات وقطاعات النشاط الاقتصادي/الاولي والثانوي والثالثي كمقابلات للزراعة والصناعة والخدمات/، وأهم محاور وفئات النفوذ المقابلة لكل مرحلة؛ وكذلك الجانب التفاولي والتشاؤمي من هذه النظرية واختلاف محتواها على هذا الأساس.

2 - موقع المجتمع الصناعي، و «بعد الصناعي» (المفترض) في نظرية «روستو» حول «مراحل النمو الاقتصادي».

3 - تأثير الأمم المتحدة ومنظماتها بنظرية المجتمع بعد الصناعي، ومثال تبني مبادئها في بعض تصنيفات «اليونسكو» للمجتمعات البشرية/ صناعية، ابتدائية التصنيع، قبل وبعد صناعية/.

(*) باحث من سوريا.

II . وفي المسار الثاني

ما يلي:

- 1 - عرض سريع لبعض الفروق الأولية بين المجتمعين الصناعي وبعْد الصناعي.
- 2 - مثال من مقرّر جامعي عربي يُعرّف بنظرية المجتمع الصناعي مع التركيز على الجانب بعد الصناعي في هذا التعريف، والابتعاد، قدر المستطاع، عن المشاحنات والتقويمات الإيديولوجية الفاقعة، مع التركيز على الجوانب ذات القيمة المعرفية والعلمية المؤكدة. ثم نورد بعض التفرّعات والتسميات المختلفة للمجتمع «بعد الصناعي»/ مثل الصناعي الأعلى، التكنوتروني، المعلومي، التيليماتيكى/.
- 3 - نورد آراء العالم الأوسترالي «ر. ج. بيدهيم» في تصنيف نظريات المجتمع بعد الصناعي وأعلامها إلى اتجاهين كبيرين ومتباينين - صناعوي وعكس أو ضدّ صناعوي.
- 4 - تعريف بأراء «نيسبث» الأميركي حول المجتمع بعد الصناعي (مجتمع «المعلومات» لديه) باعتباره نقلة من مجتمع سابق/ صناعي/، ونورد التوجّهات العشرة الكبرى التي يتحدّث عنها في هذا المجال.
- 5 - خلاصة سريعة عن مسيرة «الفين توفلر» - «الفارس» الآخر هنا بعد «نيسبث» من فرسان نظرية المجتمع «بعد الصناعي» (المسمّى لديه - المجتمع «الصناعي الأعلى»): مع التركيز والوقوف على مقارنةٍ تلفت الانتباه لديه بين المجتمعين الصناعي و «فوق الصناعي»/ «الأعلى»... الخ/ توضح فهمه الخاص للفروق بين هذين المجتمعين، ولكنه فهم ذو أهمية ودلالةٍ على الرغم من كل شيء.

I

موضع المجتمع «بعد الصناعي» من مسار تطور المجتمعات البشرية حسب بعض التصنيفات

- 1 - باتت تسمية المجتمع بعد الصناعي أحد رموز المرحلة الجديدة في التطور الاجتماعي - التاريخي، وهي تسمية واسعة الانتشار في الأدبيات الاجتماعية الحديثة، ولا سيما في علم السياسة و «علم» المستقبل في العالم ككلّ وفي الغرب بخاصة. هناك الآن ما يُعرف بنظرية المجتمع بعد الصناعي، وهي بمثابة حلقة في سلسلة، وتطوير لاحق لنظريات «المجتمع الصناعي» التي لاقت شعبية واسعة في الستينات، والتي ارتبطت بأسماء بعض علماء الاجتماع في الغرب: مثل الفرنسي «أرون» والأميركي «روستو» - صاحب النظرية المعروفة حول «مراحل النمو الاقتصادي».
- ومن أشهر ممثلي نظرية المجتمع بعد الصناعي: «بيل»، و «كان»، و «بيجزيנסكي»، و «توفلر» - وكل هؤلاء من الولايات المتحدة الأميركية؛ وكذلك فوراستي، و «تورين» -

من فرنسا. وعلى الرغم من تنوع محتويات هذه النظرية، إلا أنها في الإجمال طامحة إلى لعب دور النظرية «السوسيولوجية - العامة» لتطور البشرية التدريجي؛ والتاريخ فيها مقسوم إلى ثلاث مراحل رئيسة هي:

- 1 - المجتمع قبل الصناعي (أي الزراعي)،
- 2 - المجتمع الصناعي (في العالم المتقدم - الرأسمالي و «الاشتراكي» سابقاً، على السواء)،

3 - المجتمع بعد الصناعي (كما يسمّى لدى «بيل» وآخرين، أو «التكنوتروني» - لدى «بيجينسكي»، أو «الصناعي الأعلى» - لدى «توفلر»).

وتعتبر نظرية المجتمع بعد الصناعي أنه تبعاً لمستوى التقنية (أو ما يُسمّى «بالحتمية التكنولوجية») تغلب في المجتمع، وبصورة تسلسلية متتابعة، مجالات النشاط الاقتصادي التالية:

- 1 - المجال الأولي (الإنتاج الزراعي)،
- 2 - المجال الثاني / أو الثانوي / (الصناعة)،
- 3 - والمجال الثالثي، حالياً - مجال الخدمات، والذي يكتسب فيه العلم والتعليم دوراً ريادياً.

وتمتاز كل من المراحل الثلاث المذكورة سابقاً بأشكال خاصة بها للتنظيم الاجتماعي، وهي على التوالي:

- 1 - الكنيسة والجيش - في المجتمع الزراعي،
- 2 - والشركة أو الاتحاد - Corporation في المجتمع الصناعي،
- 3 - والجامعات - في المجتمع بعد الصناعي.

كما أن كل مرحلة من المراحل الثلاث المذكورة تميّزت بهيمنة فئة معينة، وهي على التوالي: 1 - رجال الدين والإقطاعيون؛ 2 - رجال الأعمال، وأخيراً 3 - العلماء والاختصاصيون المهنيون.

وهكذا تكون الفئة المحظية في المجتمع بعد الصناعي هي النخبة التكنوقراطية (أو ما يعرف بـ «الميريتوقراطية»)، هذا هو الجانب التفاؤلي من النظرية المذكورة، إلا أن ثمة تفسيرات وطروحات تشاؤمية، أيضاً، في الإطار الإجمالي لنظرية المجتمع بعد الصناعي يقدمها ممثلو ما يُعرف بالاتجاه المتطرف أو التطرفية - Radicalism، والذي كانت تسمه بعض التصنيفات الإيديولوجية بسمة التطرفية «البرجوازية الصغيرة»؛ ومن ممثلي هذا الاتجاه «ر. هيلبرونر»، و «فيركيس» وغيرهما. والمجتمع بعد الصناعي - حسب ممثلي اتجاه كهذا - هو بمثابة عودة البشرية، مرغمة، إلى الوراء - أي إلى الوضعية أو الحالة قبل الصناعية.

2 - ولتكوين تصوّر حول موقع «المجتمع بعد الصناعي» من خارطة تطور البشرية، كما سبق وتحدّد أو رسم كإرهاصات وتوجّهات مثليّة مقبلة لاحقاً، حتى في إطار نظريات المجتمع الصناعي السابقة، يكون من المفيد والجدير بنا العودة إلى روستو - W.W. Rostow والتذكير بنظريته المعروفة - «مراحل النمو الاقتصادي» - The stages of economic growth - «البيان غير الشيوعي» - A non-communist manifesto وهذه المراحل لديه هي التالية [كما ترد في القاموس الفلسفي الموسوعي المنشور سنة 1983 في موسكو بالروسية]⁽¹⁾:

- 1 - المجتمع التقليدي (المرحلة الممتدة حتى نهاية الإقطاعية)،
- 2 - مرحلة «المقدّمات» (أو الممهّدات) أو «المجتمع الانتقالي» (بمثابة الانتقال إلى الرأسمالية قبل الاحتكارية)،
- 3 - مرحلة «الانطلاق» أو «التحوّل» (والذي يمكن اعتباره مبدئياً بمثابة تطوّر الرأسمالية قبل الاحتكارية إلى الرأسمالية الاحتكارية)،
- 4 - مرحلة «النضوج» (المجتمع الصناعي)، وأخيراً:
- 5 - عصر «المستوى العالي للاستهلاك الجماهيري» - وهذا ما ينطبق عملياً على مفهوم معيّن ومُثّل ومواصفات اعتُبرت من خصائص ما عُرف لاحقاً بالمجتمع بعد الصناعي على ما نعتقد.

من المناسب هنا ذكر «مراحل النمو الاقتصادي» لروستو كما وردت في كتاب جامعي مقرّر في الجامعات السورية، وبتحديد أكبر في جامعة دمشق، مع العلم أنه المقرّر أو الكتاب الجامعي الوحيد الذي يتحدث عن نظريات المجتمع الصناعي ضمن الاختصاصات (الفلسفية - الاجتماعية، أي في شعبي الفلسفة وعلم الاجتماع، وعلى مدى أربع سنوات دراسية - كتاب وحيد يُفَرِّز عنواناً متخصصاً لهذه النظريات وللتعريف بها، ولو بصورة محدودة، إنه كتاب من تأليف د. خضر زكريا يحمل عنوان النظريات الاجتماعية المعاصرة / الجزء الأول / ج. دمشق / 1988 - 1989.

وفي الكلام على هذه النظرية (ص 259 - 261) نستخلص تسميات «مراحل النمو الاقتصادي» لدى «روستو» معرّبة كما يلي:

- 1 - «المجتمع التقليدي» [الأهله هنا كلها في الأصل م. ن.]،
- 2 - «المجتمع الانتقالي» أو «مرحلة خلق الشروط المؤهّلة للانطلاق»،
- 3 - مرحلة «الانطلاق» أو «الثورة الصناعية»،
- 4 - «مرحلة النضج» أو «السير نحو النضج»،

(1) القاموس الفلسفي الموسوعي، موسكو، دار نشر «الموسوعة السوفيتية»، 1983، بالروسية.

5 - عصر الاستهلاك الشعبي العالي (مجتمع الرفاه العام).

3 - يلاحظ أن أدبيات هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها المتخصصة تتبنّى، عملياً، تصنيفات قريبة جداً من تصنيف نظريات المجتمع الصناعي وبعد الصناعي للمجتمعات البشرية ومراحل تطوّرها الأساسية، وعلى سبيل المثال: في سلسلة دراسات حول السياسة العلمية - التقنية التي تُصدرها اليونسكو دراسة بعنوان «مدخل إلى تحليل السياسة في مجال العلم والتكنولوجيا» / باريس، اليونسكو، 1981⁽²⁾...

وفي هذه الدراسة، وبهدف إنشاء أو تحديد السياسة العلمية - التقنية لكل بلد أو مجموعة دولية في سياق اقتصادي معيّن، جرى فرز كافة دول العالم ومراحل تطورها ضمن أربع مراحل للتنمية الاقتصادية^(*) وهذه المراحل الأربع هي التالية:

- 1 - المرحلة قبل الصناعية (حوالي 60 بلداً في العالم)،
- 2 - المراحل الابتدائية للتصنيع (حوالي 40 بلداً)،
- 3 - المرحلة الصناعية - ويدخل في هذه المجموعة حوالي 25 بلداً،
- 4 - المرحلة بعد الصناعية (حوالي 10 بلدان).

II

خصائص المجتمع بعد الصناعي مقارنةً بالمجتمع الصناعي

1 - إذا كان ظهور نظريات المجتمع الصناعي قد أتى في أعقاب اندلاع الثورة العلمية - التقنية أواسط هذا القرن، وبعد الحرب العالمية الثانية؛ فإن ظهور نظريات المجتمع بعد الصناعي قد ارتبط بمرحلة جديدة في ثورة العلوم والتكنولوجيا - أي بما يُعرف بالثورة الصناعية الثالثة أو «الثورة السيبرنيتيكية»؛ وفارق آخر بين المجتمعين الصناعي وبعد الصناعي هو أن الأول يخلق «اقتصاد الوفرة»، فيغني جزئياً عن العمل، أما الثاني فقد افترض أن الحاجة إلى العمل فيه تكاد تنتفي تقريباً؛ وأمر ثالث - فيصل بين المجتمعين المنظرين هو أن الأول اتّسم بحدوث تغييرات اجتماعية هيكلية ولا سيما بتحوّلات في بنية الطبقة العاملة باتجاه مزيد من التخصص والتثقيف وتحوّل العمل اليدوي تدريجياً إلى نوع من العمل العقلي - والفيزيائي إلى فكري، أما في المجتمع بعد

Introduction à L'analyse politique en science et technologie UNESCO.- P.: UNESCO, 1981, V. 1, (2)
124 p. (Études et doc. de politique sci.; N. 46).

(*) علينا الانتباه إلى الفرق بين مفهوم «التنمية» development، والنموّ growth والمصطلح الثاني هو المستخدم في نظرية «روستو».

وهذان المفهومان في اللغة الروسية هما على التوالي: «رُزُقُتِي» - pazbutue، و«رُوشْت» - Pocht، إن الفرق في المفاهيم ليس شكلياً دالماً كما قد نعتقد؛ بل توجد تقريبات معروفة أيضاً بين مفاهيم «النمو» و«التنمية» اقتصادياً، ومفاهيم «التقدم»... اجتماعياً وعلمياً - تقنياً...

الصناعي - وكما تفترض آراء واجتهادات معينة - فستؤدي الثورة السيبرنيتيكية إلى تلاشي هذه الطبقة العاملة فعلياً!!

2 - في الكتاب - المقرر الجامعي - الوحيد الذي يتحدث عن نظريات المجتمع الصناعي صراحة وبالإسم، كتاب النظريات الاجتماعية المعاصرة، ومن تأليف د. خضر زكريا، تُسرد بعض مواصفات المجتمع بعد الصناعي، ولا سيما في الصفحات 263 - 265؛ وفي معرض الحديث عن الاختصاصي الأميركي بعلم المستقبلية «هيرمان كان» تورد آراؤه في خصوص أن أميركا وغيرها من الدول الرأسمالية والاشتراكية ستصل إلى «المرحلة بعد الصناعية» سنة 2000، فتبلغ مرحلة الازدهار والوفرة وتغني أكثر الناس عن العمل، وذلك في صلة بالثورة السيبرنيتيكية. ونحن نرى أن طرح «كان» لم يكن دقيقاً، ليس في تحديد الأجل والتوقعات الزمنية وحسب، بل وليس واقعياً في تقدير الوفرة والثروة الفعلية التي توجد في العالم الغربي لتغطية حتى حالات الفقر والجوع الجزئي فيه، ناهيك عن الدول «الاشتراكية» السابقة التي كانت وما زالت أبعد ما تكون عن اقتصاد الوفرة و«الاستهلاك الرفيع».

وتورد في الكتاب - المقرر المذكور ذاته (ص 265) آراء للمؤلفين ل. وج. كرويلي تبين أنه «إذا كانت الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر قد استطاعت إثارة الوعي الاشتراكي ودفعت للنضال من أجل الاشتراكية، فستؤدي الثورة السيبرنيتيكية حتماً إلى ظهور مجتمع ما آخر، لم يُطلق عليه اسم «بعد»^(*). نعم وفي الحقيقة نرى أن اسم «المجتمع بعد الصناعي» هو الذي أُطلق وشاع فعلياً «تحقيقاً لهذه النبوءة»، أما أسماؤه الفرعية فهي الآن: مجتمع «المعلومات»، والمجتمع «الصناعي الأعلى»، والمجتمع «التيليماتيك»، والمجتمع «التكنوتروني»...

3 - للتعرف على زاوية أخرى لرؤية العلاقة بين المجتمع بعد الصناعي والمجتمع الصناعي عبر نظريتهما من المفيد الاطلاع على آراء ر. ج. بيدهيم في كتابه الذي يحمل عنوان نظريات المجتمع الصناعي والمنشور سنة 1986 في لندن - سيدني (باوستراليا)⁽³⁾ وبيدهيم هو عالم أسترالي مختص في مجال تاريخ وفلسفة العلم.

يقسم المؤلف أنصار نظرية المجتمع «بعد الصناعي» إلى مجموعتين هما:

- المجموعة الأولى، وتضم أمثال د. بيل وز. بجيزينسكي، وآلفين توفلر والذين يفهمون من المذهب الصناعي (أو الصناعية - industrialism)، في الغالب، التنمية الصناعية؛ ويفهمون من الانتقال إلى «ما بعد الصناعية» Postindustrialism نوعاً من «نزع التصنيع» - deindustrialization أو التخلي عنه في المجتمع حسب وعلى قدر تطور

(*) وضعنا الخط تحت العبارة التي نجدُها ذات دلالة وأهمية.

(3) BADHAM R.J.: Theories of industrial society. - L.; Sidney: Croom Helm, 1986, 188 p.- Bibliogr. p. 168-183.

المجال غير الإنتاجي.

- المجموعة الثانية، وتضم أمثال آ. تورين، وت. رزاق، وإي. إيليليتش، وك. كومار - وهؤلاء يفهمون ويفسرون التصنيع - industrialization بصورة أوسع وأشمل باعتباره عملية «مركزة» (أو تمركز - centralization)؛ وعملية «برقطة» - أو تبرقط - bureaucratization - بمعنى إكساب أو اكتساب مزيد من الصفات البيروقراطية؛ وكذلك كعملية تخصص أو تخصيص - specialization، ولذلك فإن هؤلاء وأمثالهم ينظرون إلى ما يُعرف «بالمجتمع بعد الصناعي» - postindustrial society باعتباره مرحلة تالية وتطور لاحقاً لمناحي وتوجهات الصناعية - industrialism.

4 - «نيسبيت» عالم أميركي معروف، وقد قامت مجموعته «مجموعة نيسبيت» المهمة بالدراسات المستقبلية بفرز وتحديد عشرة اتجاهات أو توجهات أساسية، اعتُبر أنها تحدد «تطور مجتمع الولايات المتحدة الأميركية الديمقراطية الحرّ على مدى العقود القريبة»، وقد وردت هذه المعطيات في كتاب يحمل اسم «نيسبيت» وعنوانه التوجهات الكبرى: عشرة اتجاهات جديدة تغيّر حياتنا/ أو حيواتنا/ نُشر في نيويورك سنة 1982⁽⁴⁾.

والحقيقة أنها اتجاهات وتوجهات تأتي بمثابة مقارنة بين مجتمعين - قائم ومقبل، قديم وجديد، صناعي وبعد صناعي، في الظروف الأميركية، لذلك نورد هنا الفقرات العشر التي تصف عملياً الانتقال «من.. إلى..» وتأتي بمثابة مقابلة غنيّة ومتعدّدة الجوانب بين المجتمعين المذكورين، وهذه الاتجاهات الأساسية الكبرى هي التالية (وعليّنا التذكير أن «نيسبيت» هو أحد «فرسان» «المجتمع المعلمي»):

1 - من المجتمع الصناعي إلى المجتمع المعلمي المؤسّس على إنتاج المعلومات والمعارف.

2 - من التّقانة/ أو التكنولوجيا/ العالية إلى التّقانة/ أو التكنولوجيا/ الإنسانية المتمحورة على الإنسان.

3 - من الاقتصاد الوطني/ أو القومي/ إلى الاقتصاد العالمي/ أو الدولي - global/ المرتكز إلى «التبعية المتبادلة».

4 - من الإدارة المتمحورة على أمد قصير إلى التخطيط طويل الأمل.

5 - من المركزية/ أو المركزة - centralization/ إلى اللامركزية/ أو اللامركزة - decentralization في الاقتصاد وفي السياسة.

6 - من الضمان أو التأمين المؤسسي أو الضمان أو التأمين الذاتي وإلى «العمالة الذاتية».

- 7 - من الديمقراطية التمثيلية - representative إلى «ديمقراطية المشاركة».
- 8 - من البنى الاجتماعية - الاقتصادية الهرمية أو التسلسلية أو «العمودية» إلى البنى الجماهيرية أو العمومية أو الجماعية - mass «الأفقية».
- 9 - من التوجه للعيش في المدن الكبيرة شمال الولايات المتحدة الأميركية إلى التوجه للعيش في المدن الصغيرة والمتوسطة جنوب وغرب الولايات المتحدة الأميركية.
- 10 - من الخيار الثنائي/ الخيار بين اثنين أو جانبين أو وجهين/ إلى الخيارات والحلول متعددة البدائل - multialternative.

هذه هي التوجهات الأساسية التي أوردتها «مجموعة نيسبيت» والتي تعبر عن الانتقال من مجتمع صناعي إلى مجتمع «بعد صناعي» بتياب مجتمع «معلومي»، وبأحد الخيارين الأساسيين (الخيار الأول حسب تصنيف «بيدهيم» المذكور هنا)، أي الخيار المتعاطف مع تخفيف وطأة الصناعية والاحتمية التكنولوجية والمركزية والمحلية والتخطيط قصير الأجل، إنه الخيار الذي يكرس اعتماد الفرد والجماعة على الذات فقط وعدم انتظار العون من المؤسسات الكبرى أو الدولة، ويشجع على إشراك واسع للناس جميعاً ومباشرة في الحياة الانتخابية والسياسية، وعلى ترك النمط الديني المتمركز باستمرار، وإلى خلق ظروف وشروط التنوع والتعددية والخيارات والبدائل الكثيرة أو المفتوحة.

وكانت طروحات وتوجهات نيسبيت قد واجهت انتقادات عديدة ومتنوعة ومن جهات مختلفة سواء داخل الولايات المتحدة الأميركية ذاتها، أو خارجها - ولا سيما في «الاتحاد السوفييتي» السابق، وهذا أمر طبيعي ومتوقع كالعادة ولكننا نعفي أنفسنا من الدخول في تفاصيلها هنا على أمل الرجوع إليها في مكان و/أو زمان آخرين، خصوصاً وأن الانتقادات ممكنة وسهلة دائماً تقريباً، من جهات وزوايا ومنطلقات عديدة أيضاً. ولكن تجدر الإشارة إلى عمل باللغة الروسية يتضمن انتقادات أميركية و «سوفييتية» سابقة معاً لمشروع «نيسبيت» ومجموعته، والعمل المشار إليه هو كتاب من تأليف «كوسولاپوف» و «غونتشارينكو»، بعنوان: القرن الواحد والعشرون في مرآة علم المستقبل، صادر في موسكو، عن دار «الفكر» سنة 1987⁽⁵⁾.

5 - كان ألفين توفلر منذ أعماله الأولى قد شارك في صياغة نظرية المجتمع «بعد الصناعي» واستخدم على الدوام تقريباً مصطلحات مثل عصر الصناعة العليا والمجتمع الصناعي الأعلى - superindustrial society ويكاد ينفرد «توفلر» باستخدام تعبير «سوبر - super» لدى الحديث عن المجتمعات الصناعية و «بعد الصناعية» وعن الحضارة أو العصر «بعد الصناعي»، وذلك على إثر المرحوم «نيتشيه» الذي كان له

(5) ف. ف. كوسولاپوف، آ. ن. غونتشارينكو: القرن الواحد والعشرون في مرآة علم المستقبل، موسكو، دار «الفكر» / «مبصل»، 1987، بالروسية.

الفضل الاول والاكبر في نشر وتعميم مصطلح «الإنسان الأعلى» - السوبرمان - superman - بإدخاله في صلب منظومته الفلسفية.

إن مترادفات العربية الكثيرة جعلنا في حيرة أمام أفضليات استخدام وفرة من الكلمات العربية المقابلة لكلمة «سوبر» - super - في سياق الحديث عن الصناعة ومابعد الصناعة وإمامنا الخيارات التالية لتسمية مجتمع «مابعد الصناعة» الذي يأخذ صفة superindustrial «التوفلرية» وهي - المجتمع: الصناعي الأعلى، أو الصناعي «الراقي» أو المترقي، [حسب التعبير الذي ورد في تعريب كتاب «توفلر» الأول شهرة - صدمة المستقبل]؛ أو فوق - الصناعي، أو الصناعي المتفوق، أو عالي - التصنيع أو فائق التصنيع، أو الصناعي الخارق/ أو خارق التصنيع/، إلى آخر القائمة التي نترك لهذه العربي أن يكملها إذا كان من هواة الرياضة اللغوية.

قلنا إن «توفلر» استخدم دائماً ومنذ البداية تعبير «السوبر إيندوستريال» - superindustrial، وذلك منذ كتابه الذي اشتهر أولاً بعنوان صدمة المستقبل - future shock الصادر سنة 1970، ثم تابع المساهمة في نظرية المجتمع بعد الصناعي في أعماله اللاحقة: الانهيار/ أو الانقلاب/ البيئي - الإيكوسبازم - The ecospasm سنة 1975، والموجة الثالثة - The third wave سنة 1980، ومقالات وكتب أخرى، منها بصورة خاصة كتاب توفلر - الشركة القاطمية أو الاتحاد القاطمي The adaptive corporation الصادر سنة 1985⁽⁶⁾.

وفي هذا الكتاب أوضح وأنضج مقارنة بين المجتمع الصناعي والمجتمع «الصناعي الأعلى»، كما يراه توفلر، وسنرتب المقارنة المذكورة بصورة تقابلية لمزيد من إيضاح الفروق:

I - المجتمع الصناعي II - المجتمع فوق - الصناعي/ أو الصناعي الأعلى

- 1 - أكثر الناس يريدون الشيء ذاته من الحياة؛ ويعتبر النجاح الاقتصادي بالنسبة لغالبيتهم هدفاً رئيساً، لذا يلزم تحفيزهم وتشجيعهم بواسطة المكافأة الاقتصادية.
- 1 - الحاجات القاعدية الأساسية للناس مشبعة؛ كل منهم يريد من الحياة شيئاً خاصاً به، لذا فالمكافأة الاقتصادية وحدها غير كافية لتحفيزهم وتشجيعهم.
- 2 - يوجد اعتقاد بأنه كلما كانت الشركة أكبر، كان ذلك أفضل، إذ يفترض بذلك أن تكون أقوى وأكثر دخلاً.
- 2 - توجد تحديدات في الحجم لكل من الشركة/ أو الاتحاد/ والتنظيم الحكومي.

TOFFLER A.: The Adaptive corporation. - L.: Gowee, 1985, 218 p.

(6)

I - المجتمع الصناعي

II - المجتمع فوق - الصناعي / أو الصناعي الأعلى

3 - العمل والخامات ورأس المال - وليس الأرض - هي عوامل الإنتاج الرئيسية.
3 - المعلومات هامة بالدرجة نفسها، وربما أكثر، كما الأرض والعمل ورأس المال والخامات / أو المواد الأولية /.

4 - إنتاج البضائع والخدمات المقيسة / أو الموضبة / standartizated أكثر نجاعة وفعالية، من الوجهة الاقتصادية، مما هو الحال مع الإنتاج اليدوي بالقطعة، والذي تكون فيه كل واحدة من المنتوج مختلفة عن الأخرى.
4 - الإنتاج الجماهيري / أو العمومي والجماعي / - mass الموضب والمقيس يجري استبداله بمنظومة جديدة للإنتاج الفردي «الحرفي» أو المهني /، وفي أساس هذه المنظومة العمل العقلي وليس اليدوي - أي العمل الذي يعتمد على المعلوماتية وعلى التكنولوجيا العالية / أو الرفيعة / - supertechnology؛ والمنتوج النهائي لإنتاج كهذا هو منتجات فردية للاستهلاك والخدمة وليس ملايين البضائع المتشابهة المقيسة / أو الموضبة الموضفة /.

5 - التنظيم الأكثر فعالية هو البيروقراطية، التي في إطارها يكون لكل جزء دور ثابت لا يتغير ومحدد في التسلسل الهرمي. بالنتيجة تكون الآلية التنظيمية مهيأة بصورة أفضل / «معياريًا» / لإنتاج حلول قياسية / ثابتة / - standard.
5 - الأسلوب الأفضل للتنظيم ليس هو البيروقراطية، بل هو «الادهورقراطية»^(*) (والذي هو تنظيم مؤقت مناسباتي - حسب الوضع والضرورة - موجه لحل مسألة ما محددة). وفي «الادهورقراطية» يُعتبر كل عنصر أو مكون تنظيمي بمثابة «مودول» يتفاعل مع عناصر التنظيم ومكوناته الأخرى أفقياً، وليس عمودياً فقط. والحلول التي تتبنّاها «الادهورقراطية» - مثلها في ذلك كمثل البضائع والخدمات أيضاً - هي غير موضبة أو موضفة - غير مُقيسة -

destandardized
6 - لا يجلب تطوير التكنولوجيا معه «التقدم» بالضرورة، بل وأكثر من ذلك، قد يُهدم التقدم المتحقق سابقاً إذا لم يخضع للرقابة والتوجيه.
7 - العمل بالنسبة لغالبية الناس يجب أن يكون متنوع الخيارات - Variative وغير متكرر ومسؤولاً - أي يتطلب من الفرد القدرة على حرية الفعل والتفكير والمحاكمة.

6 - الحركة التكنولوجية متجهة إلى تقييس الإنتاج، وتساعد على «التقدم».

7 - العمل بالنسبة لغالبية الناس يتوجب أن يكون روتينياً ومتكرراً وموضباً / مُقيساً /.

(*) الادهورقراطية - Ad-hocracy

إذا نظرنا إلى الصورة المشرقة التي يرسمها توفلر حول إشباع الحاجات البشرية وثانوية أهمية المكافآت الاقتصادية وجدنا الأمر مغرماً في تفاؤليته بقراءة الواقع الحالي والمقبل؛ والاعتقاد أن الشركات الكبرى تخلي الطريق لتحديدات في الهجوم على مستوى النشاط الخاص والحكومي - على السواء - هذا الاعتقاد يخالف التوجهات الحالية أيضاً

والسائرة صوب مزيد من التكتلات الكبرى إقليمياً ودولياً.

أما عن إعادة تقييم أهمية المعلومات إنتاجياً واقتصادياً فهذا أمر صار معروفاً الآن. وتعتبر غير واقعية أيضاً التصورات الواردة هنا حول نهاية الإنتاج العمومي الجماعي - mass ونهاية التقييس والتوضيب للمنتجات؛ لأن «العولمة» الآن تقوم وتعتمد على إنتاجات أضخم فأضخم وكثير منها موجه إلى السوق الدولية الكاملة مباشرة - هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن التوضيب والتقييس زادا حضوراً الآن أكثر من أي وقت مضى، وصار شبه مستحيل على البضائع غير الخاضعة لمعايير دولية أن تخترق الأسواق - هذه الأسواق التي باتت بمتطلبات ومعايير دولية مباشرة في كل مكان تقريباً، وازدادت الحاجة إلى شهادات المواصفات والمقاييس وشروط الجودة وسلسلة «الإيزوات» - ولا سيما «الإيزو 9000» وأخواتها/ من 9000 إلى 9010/. ومطالب التقييس تأتي مباشرة من متطلبات «الغات» ومنظمة التجارة الدولية /WTO/ ومعادة «تريس» الأخيرة.

أما الكلام عن تزايد دور العمل العقلي والمعتمد على المعلوماتية والتكنولوجيا الرفيعة فهو صحيح وينسجم مع حقيقة واتجاه باتا معروفين منذ عقود عديدة من السنين؛ بعكس الكلام عن نهاية البضائع المعيارية أو التصورات غير الواقعية حول انبعاث الإنتاج اليدوي بالقطعة أو غلبة المنتجات الفردية. من اللافت للانتباه طرح تنظيم إداري بديل للبيروقراطية هو ما يسميه «توفر» «بالأدهوقراطية» وقد ورد هذا المصطلح حتى في كتابه الأول شهرة - صدمة المستقبل، مما يعني أن الخطوط العريضة لأرائه قد ارتسمت منذ بداية السبعينات وتكررت لاحقاً - هذا التنظيم المناسباتي الحركي المرن حسب الضرورات والمهام المطروحة هو الذي يستحق الاهتمام؛ وترد لديه أيضاً تسمية «المودول» - module كوحدة معيارية قياسية في تنظيم إداري متفاعل داخلياً ومرن؛ وقد بات الكلام على تبادل تأثيرات عناصر التنظيم الإداري فيما بينها أفقياً وليس عمودياً فقط كلاماً شعبياً تزداد ساحة المدافعين عنه والمنادين به، خصوصاً في مجال المشاركة الانتخابية والسياسية، إضافة إلى المشاركة في الإدارة بعمامة.

والتعبير عن عدم موثوقية أو ضمان نتائج التطوير التكنولوجي بصورة مجردة وكون هذا التطوير سلاحاً ذا حدين قابلاً للاستخدام في اتجاهين متعاكسين - مع التقدم أو ضده - هو أمر واقعي أيضاً، وأدبيات هذا المنحى قديمة ووفيرة أيضاً وتحتاج إلى اهتمام أكبر للاسترشاد بها.

النقطة الأخيرة التي تستحق التركيز والتشجيع أيضاً هي مساعي «توفر» للدفاع عن الخيارات المتعددة والحرية المسؤولة في آن والفعالة، أي كل ما يدعم ويكرّس إنسانية الإنسان بعيداً عن نموذج «الإنسان ذي البعد الواحد» الذي أسهب في وصفه «ماركوزيه» في حينه.